79853

الاجتهاد بالرأي
في
مدرسة الحجاز الفقهية

بقلم:
أ. د. خليفة بابكر الحسن
رئيس قسم الشريعة
بجامعتي الخرطوم والإمارات العربية المتحدة - العين
وكيل كلية الدراسات الإسلامية بدبي

مكتبة الزهراء
للطبع والنشر والتوزيع
٥٣ ميدان الفلكي - باب اللوق - القاهرة
ت: ٣٥٥١٤٥١

الطبعة الأولي

المحرم ١٤١٨ هـ - مايو ١٩٩٧ م

جميع الحقوق محفوظة

الاجتهاد بالرأي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قدم هذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة العالمية « الدكتوراة » من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ، وناقشته لجنة مؤلَّفة من :

(١) أ . د . **بدران أبو العينين بدران** رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية (رئيساً)

(٢) أ . د . **عبد الغنى محمد عبد الخالق** رئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون (مشرفاً)

(٣) أ . د . **سيد خليل الجراحى** الأستاذ بكلية الشريعة والقانون (عضواً)

وحصل به صاحبه على درجة « الدكتوراة » فى أصول الفقه مع مرتبة الشرف الأولى فى فبراير ١٩٧٢ .

* * *

المقدمـــة

(١) أهداف البحث وسبب اختياره

(٢) منهجه وخطته

(٣) مصادره ومراجعه

* * *

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اشتغل بخدمة شرعه إلى يوم الدين . .

وبعد . .

فإن موضوع هذه الرسالة هو : الاجتهاد بالرأى فى مدرسة الحجاز الفقهية : أما الاجتهاد بالرأى فقد عنيت به الاجتهاد فيما لا نص فيه عن طريق استخدام الأدلة المنصوبة لذلك من قياس ومصلحة واستحسان (١) .

وأما مدرسة الحجاز الفقهية فقد قصدت بها مدرسة المدينة التى تأسست دعائم فقهها فى عصر الصحابة على يد الصحابة الذين كانوا بالمدينة ثم امتدت مزدهرة فى عصر التابعين على يد الفقهاء السبعة المشاهير حتى وصل فقهها إلى إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس - عليه رحمة الله ورضوانه (٢) .

---

(١) انظر : « تحديد معنى الرأى » (ص/ ٧٩ وما بعدها) .

(٢) تطلق مدرسة الحجاز بإطلاقين :

أحدهما : إطلاقها على أهل الحديث بعامة ، وهى على ذلك تضم إلى الحجازيين كل أهل الحديث من كوفيين وبغداديين ممن اتبع طريقة الحجازيين وسلك مسلكهم .

وثانيهما : إطلاقها على مدرسة المدينة الفقهية كما تطلق مدرسة العراق على مدرسة الكوفة وقد قصدت بها هنا الإطلاق الأخير . وخروج مدرسة مكة من هذا الإطلاق =

وقد لفت نظرى إلى هذه الدراسة ، وشد انتباهى إليها أمور ثلاثة :

أولها : ما رأيته من أخذ الإمام مالك - وهو الذى تمثل فيه فقه هذه المدرسة أثراً ورأياً - بالمصالح المرسلة حتى اتهم فى ذلك بأنه خلع الربقة ، والمصلحة وجه من وجوه الاجتهاد بالرأى . ومبالغته فى العمل بالاستحسان وقوله فى ذلك : « الاستحسان تسعة أعشار العلم » ، وإن « المغرق فى القياس يكاد يفارق السنة » ، مع وجود التعليل والقياس فى فقهه بدرجة كثيرة لافتة للنظر. وكل تلك وجوه من وجوه الرأى وطرقه .

ثانيها : ما أُثر عنه - رضى الله عنه - من أنه كان يوازن بين أخبار الآحاد ويحتكم فى موازنته تلك للنصوص القطعية والقواعد الكلية . والمأثور المأخوذ به عن سلفه فى المدينة فما وافقها قبله ، وما خالفها رده . وذلك نظر يتقارب فيه هذا الإمام العظيم من أهل العراق - وهم أهل الرأى - الذين كانوا يردون خبر الواحد إذا عارض الكتاب والسنة المشهورة من وجه ، وهو من وجه آخر يستوجب الوقوف لدراسة الرأى فى فقه إمام أهل الحديث !! .

ثالثها : ما رأيته من اضطراب المؤرخين القدامى والمحدثين فى سلك الإمام مالك فى أهل الحديث أو أهل الرأى ، فعلى حين يضعه الكثيرون فى مدرسة الحديث يضعه آخرون فى مدرسة الرأى . ويتوسط فريق ثالث فيضعه فى مرحلة وسط بين أهل الرأى وأهل الحديث (١) .

وذلك كان نتيجة لعدم دراسة الرأى فى فقه هذا الإمام العظيم ومدرسته ،

= واضح لأنها كانت تعنى بالتفسير ولم تتضح عندها عناية واضحة بالفقه لهذا كان الإطلاق ينصرف إلى المدنيين دون المكيين كما أن إطلاق أهل العراق كان ينصرف إلى الكوفيين دون البصريين الذين لم يكن لهم اهتمام بالفقه .

(١) انظر ابن قتيبة فى « المعارف » (ص/٤٩٨) ، طبعة دار المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، حيث عد الإمام مالكاً فى أهل الرأى . وانظر أحمد أمين فى « فجر الإسلام » (ص/٢٤٥) ، حيث وضعه فى مرحلة وسط بين أهل الرأى وأهل الحديث.

أما عده فى أهل الحديث فهو أمر سائد لا يحتاج إلى الإشارة فيه إلى مرجع بخصوصه .

دراسةً ضابطةً ، والتفرقة بينه وبين الرأى فى فقه أهل الرأى تفريقاً بيِّناً واضحاً كاشفاً تتضح فيه الحدود والفواصل بينهما .

كل ذلك رأيته ، وجال فيه نظرى وكنت وقتها - بعد أن أنهيت دراستى لمرحلة الماجستير فى قسم أصول الفقه - أبحث عن فكرة جديدة تكون محل دراستى لنيل درجة « الدكتوراة » فحفزنى ذلك إلى اختيار هذا الموضوع تمهيداً لدراسته .

وشجعنى على ذلك أكثر أننى مالكى المذهب ، وأنَّ ملابستى لفقه مذهبى فى هذه المرحلة العالية من مراحل تخصصى ، ومحاولتى التعرف على المنابع الأساسية التى متح منها وارتوى أمر عظيم الفائدة لى ، ولعملى بالسودان حين أعود لأُباشر مهمة التدريس فيه .

وكنت أَرومُ حصر هذه الدراسة فى فقه الإمام مالك وحده غير أنى رأيت أنَّ دراسة الرأى فى فقه الإمام مالك لا تتم إلا بدراسة الرأى فى فقه شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومدرسته التى تخرج فيها ، فعدلت عن ذلك ، واخترت « الاجتهاد بالرأى فى مدرسة الحجاز الفقهية » موضوعاً لهذه الدراسة . وعرضت الموضوع على أستاذى الكبير فضيلة الشيخ مصطفى عبد الخالق أستاذ ورئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة فوافق مشكوراً قبول الإشراف عليه ، ثم عرض على مجلس الكلية فوافق على ذلك .

● **خطة البحث ومنهجه** :

سلكت فى هذه الدراسة لتوضيح فكرة الرأى فى فقه أهل الحجاز مسلكاً مزجت فيه بين تاريخ الفقه وأصول الفقه ، إذ أننى بعد أن مهدتُ لهذه الدراسة بإعطاء فكرة عامة عن الرأى تناولت فى الباب الأول الرأى بالحديث عن معناه وتاريخه منذ عصر الرسول ﷺ إلى حين ظهور المدارس الفقهية التى كانت مدرسة الحجاز من أبرزها إن لم تكن أبرزها على الإطلاق !!

وهنا كانت المباحث الأصولية والتاريخية تقف جنباً إلى جنب لتغذى عامتها هذا البحث بالنتائج التى يحتاج لها ، وهو يخطو خطواته الطويلة - بعد ذلك - مبتغياً توضيح فكرة الرأى فى هذه المدرسة .